هاءٌ مَعقودَة بالكَسرِ

إسلام مُحمّد زيدان ـ مصر

فتحت عينيها وتقلبت في فراشها، هي حتما لا زالت تحلمُ، فلقد راودها في المنام انها كانت متزوجةً لأحد الذكور، وهنا هي تضغط على احرف الذكورة، لأنه لا يليق به نعت الرجال، ولم يرزقها الله العيال، وبخل عليها الذكر بالمصاريفِ والأموالِ.

ثارت ثائرته حين طالبته بالطلاقِ، تعنتَ، تمنّعَ، تهربَ وتصرفَ كالأطفال.. منع عنها هواء الجو تتنفسه، وحرمها من زيارة والديها، كتب عليها سجناً ضيقاً لزج الأركان.. وتدخلَ والدها يساعدها وتوسط أخويه وعمه لحل الموضوع سلمياً قدر الإمكان.. تطورت القضية بأروقة المحاكم والمحاضر والمكاتبات الرسمية ونزاعات ما بين المحاميين وجلسات غيبية وأُخرٌ حضورية، أعصاب محروقة وصرخات مكتومة ومقل دامعة وأعقاب سجائر تم هرسها تحت الأقدام عندما حكم القاضي في آخرِ جلسة بالطلاق.

تنفست وأزهرت أنوار عينيها وأشرقت، وطرق الصباح على باب دارها، فرأت الشمسَ قد أرسلت دفئها ذلك النهار، وأطلت الألوان من حقائب الكبت فبدا حسنها يبهج عليها الحياة، وانجلت سحائب الضباب وأصبح للحياة عنوان، استمعت إلى الأغاني الكلاسيكية وجهزت في بيت والديها أصناف المأكولات

الشرقية والغربية والهندية واليابانية...

لازالت عندها تلك الغصة التي تؤلمها إذا فكرت، وتوجع قلبها إذا خلت إلى نفسها وتذكرت، لا تريد الدخول في تجربة أخرى، وبرغم حديث والدتها وأنها صغيرة السن، جميلة الملامح، لم تخرج من تجربتها بأطفال تعنى بهمومهم، فكلها مكاسب، وكونها أساءت الإختيار، فذلك نصيبٌ ودرس لتتعلم منه في المستقبل.

أمها محقة، وهي قلقة، وذلك الشاب أيضاً يستحق المحاولة، لكنها لا تستطيع، بداخلها خوفٌ يحاصرها، يسيطرُ على مناطق تفكيرها، أحقاً تريد الدخول في تجربة أخرى، أستجعلُ حريتها بيدِ من لا تأمن يوماً تغيير مزاجه، هكذا كان الآخر، ناعمٌ سلسٌ سهلٌ لينٌ، يختبئُ بداخله شيطانٌ جامح، لا يرضيه شيء، على الرغم من محاولات ذلك الرجل الدخول في حياتها، يبهرها كالساحر، وقديماً عشقت فقرات السحر وخفة اليد في السيرك عندما كانت طفلة، يضحكها، يهدهدها، يملكها، يأسرها، يسلبُ عقلها برقةٍ ورويةٍ بحنانٍ وبحكمةٍ لانهائية، أحياناً تفسر ذلك بأنها نعومة الأفاعي، وأحياناً أُخرَ تُقرُ بحسن نيته، وصدق شعوره، ونبل موقفه، حائرة، تفتحُ البابَ حيناً وتُغلقه أحيانًا، تفكرُ بين نفسها، ولم لا تأخذُ وقتاً تتنفس فيه، وتترك الأمر برمته، وتعود لتسأل؛ ولما لا تبحثُ عن بغيتها في شخصٍ أخر.

يجلس قبالتها في العمل وقلبه مفعماً بالشوقِ مملوءًا بالاملِ، يجمعهما مبنى واحد ويراها صباح مساء، يوماً طلب إليها الخروج ساعة الغداء إلى المطعم القريب.. فوضع بطاقةً زاهية الألوان، وبحروفٍ أنيقةً خط عليها جملة وحيدة "صباحُ الخيرُ يا

فتاة، سأسعد إن قبلتِ مشاركتكِ وجبة الغداء اليوم، سأكون على طاولتك المفضلة قبل وصولك بدقائق".

وجدته بطاولتها، تملأ وجهه إبتسامةٌ فَرِحةً، لم يحدثها ولم يسألها عن أحوالها، مد إليها يده بدميةٍ محشوة وسكينٍ صغير، وبصوته العميق الرخيم قال لها "إليكِ ما يسري عنك همك، ويصرف عنك الغضب" ضحكت باستغراب وسألته "ما هذا"، عدل من نظارته وداعب لحيته "هي طريقة جديدةٌ قديمةٌ، ولكن لي شرط واحد.. ستأخذين تلك الدمية وتُفضين ما بقلبك من غضب وتصبين عليها ما بداخلك من لعنات مكبوتة، وتفصحين عما بك من هموم، ولك أن تضربينها أو تلكمينها أو تطعنينها بسكينك هذا.. وحين تنتهين وتتأكدين من خلو قلبك من القهرِ والمرارةِ والغضبِ وكلِّ حدثٍ سبَّبَ لك ألماً.. سنبحث عن فرصة تجمعنا، صدفةٌ واحدةٌ، وإذا ما قدر الله لنا اللقاء سآخذك من يديك الرقيقتين لا انفصل عنك طوال العمر لحظة واحدة".

لم تحب يوما الحصار، هو يتركها لقرار تختاره بنفسها.. يترك لها الحرية، وهي يوماً لم تتذوق طعم الحرية، للأمرِ حلاوة وبه مغامرة قوية، هي تريد أن تقضي عمرها في سلام، وتريد أن تستشعر عشقاً من القلب، ولكن هناك مايقيد قدميها، شعورٌ اليمٌ بالضعف والحسرة والغل على عمرٍ ضاع بلا طائل، سنوات الشقاء والقضاء أتعبتها وقضت على طموحها، والآن هي مخيرةٌ مابين أن تترك غضبتها وآلامها وأن تغرق فيهن.

لم يُكذبُ خبراً حين قال سنبحث عن فرصة تجمعنا، ففي الصباح الباكر خلى مكتبه من رائحة عطره المميز ولمسته الانيقة في ترتيب وريقاته، وبسؤالِ عامل تقديم المشروبات عرفت أنه ترك الشركة ليلتحق بأخرى بمنصبٍ أعلى وعائد مادي أكبر، هكذا قيل في الاروقة والممرات، وهكذا خيل إليها أنها تراه في كل مكان، في شرفة المنزل، في السوق التجاري الكبير، عند بائع الجرائد، يطاردها طيفه في كل مكان ولا يفارقها قط في أحلامها...

حتى ذلك الحلم الذي تعيش به ليل نهار، فيخيل إليها أن الصدفةَ جمعتهما، وأنه خطبها من والدها وتزوجا ورزقهما الله بنتين جميلتين وديعتين تحملان أعين والدهما الصافية وابتسامة أمهما الرقيقة... حلماً تتيقن من واقعيته حينما تدخل عليها مليكتاها الجميلتان، تحملان حقيبتي المدرسة ليُقبّلاها ووالدهما بالبابِ ينظرُ إليها ويقذف إليها مظروفاً صغيراً كتب عليه بحروف أنيقة "صباحُ الخيرُ يا فتاة".